

# رسالة من المرشد العام للإخوان المسلمين : الحج والأمة الواحدة



الخميس 1 يناير 2004 12:01 م

19/11/2009

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

وبعد؛ فما هي قلوب المسلمين تهوي إلى البيت الحرام من أنحاء المعمورة، برهانا على استجابة الله لدعوة الخليل إبراهيم حين قال: (فَأَجْعَلِ النَّاسَ تُهْوَىٰ لِإِبْرَاهِيمَ) (إبراهيم:37) وما يزال وعد الله يتحقق، وما تزال أفئدة من الناس تهوى إلى البيت الحرام؛ يتقاطرون بعنات الألوف من فجاج الأرض البعيدة، قاصدين بيت الله الحرام، يعيشون في رحابه، ويتعلمون من خلال الحج دروس الحياة العريضة، ومنها ما يلي:

## الحج تطبيق عملي لمبدأ المساواة:

يلتقي المسلمون على اختلاف أجناسهم وأعرافهم وألوانهم ولغاتهم ( لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ) (الحج:28) فتتجلي المساواة بأسمى صورها الواقعية في الحج، فالجميع يلبسون لباسا واحدا بسيطا لا ترف فيه ولا تفاخر، والجميع يطوفون حول البيت (الذي جعلناه للناس سواء العاجل فيه والبر) [الحج:25]، والجميع يهتفون هتافا واحدا لا أثر فيه لعنصرية، ولا محل فيه لعصية «ليبك اللهم ليك، ليك لا شريك لك ليك»، والجميع يقفون في عرفات موقفاً واحداً، لا تفاضل بينهم إلا بالتقوى والإخلاص، فتذوب الطبقية، وتتلاشى التفرقة، وتتجسد المساواة الحققة الصادقة الخالية من كل تكلف أو خداع، المساواة التي فقدت في العالم المتحضر، وضاعت في دنيا المدنية الزائفة[]

والجميع يفيضون من عرفات ويأتون المشعر الحرام بمزدلفة، بعد أن ألغى الإسلام الامتياز الذي كانت قريش تعطيه نفسها؛ ليؤكد عملياً المساواة بين الجميع، فقد «كأنت مُرَبِّشٌ وَمَنْ دَانَ دِينَهَا يَقْمُونَ بِالْمُزْدَلِفَةِ، وَكَانُوا يُبَيِّمُونَ الْخُمْسَ، وَكَانَ سَائِرُ الْعَرَبِ يَقْمُونَ بِعَزْمَاتٍ، فَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامَ أَمَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَأْتِيَ عَزْمَاتٍ، ثُمَّ يَقِفْ بِهَا، ثُمَّ يُفِيضْ مِنْهَا، فَكَانَ قَوْلُهُ تَعَالَى: (ثُمَّ أُفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ)» (البقرة:199) (متفق عليه).

ثم وقف صلى الله عليه وسلم يعلن هذا المبدأ الإنساني الجامع يوم حجة الوداع: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ) (الحجرات:13)، فَلَيْسَ لِعَرَبِيٍّ عَلَىٰ عَجْمِيٍّ فَضْلٌ، وَلَا لِعَجْمِيٍّ عَلَىٰ عَرَبِيٍّ فَضْلٌ، وَلَا لَأَشْوَدَ عَلَىٰ أَبْيَضَ وَلَا لِأَبْيَضَ عَلَىٰ أَسْوَدَ فَضْلٌ، إِلَّا بِالْتَّقْوَىٰ» (الطبراني)

وهو صلى الله عليه وسلم الذي قال يوم مُذِحَ مَكَّةَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَهَبَ عَنْكُمْ عُبَيَّْةَ (أي كبر وفخر) الْجَاهِلِيَّةِ وَتَعَاظَمَهَا بِأَبَائِهَا، فَالْآنَاسُ رَجُلَانِ: رَجُلٌ بَرٌّ تَقِيٌّ كَرِيمٌ عَلَى اللَّهِ، وَمَا جَرَّ شِقْيِي هَيِّنٌ عَلَى اللَّهِ، وَالنَّاسُ بَنُو آدَمَ، وَخَلَقَ اللَّهُ آدَمَ مِنْ تُرَابٍ» (الترمذي).

لقد آن للمسلمين، بل للدنيا كلها، أن تتعلم المساواة الحقيقية من هذه الفريضة الكريمة ومن مختلف شعائر هذا الدين القويم، بدلاً من التعلق بالشعارات الفارغة التي ترددها بعض الأمم بألسنتها، وتوقع من أجلها المواقب والمعاهدات، ثم تدوسها كل صباح ومساء بأقدامها وسلطانها وقوتها وجبروتها، وتضمهر في نفسها احتقاراً لأبناء الأمم الأخرى[]

## الحج مؤتمر الأمة الواحدة المتوحدة:

ها هم اليوم حجاج بيت الله الحرام من كل فج عميق، بكل لغة ولون، يتوافدون على البقاع المقدسة الطاهرة، متناسين الخلافات السياسية بين الدول التي وفدوا منها، لا تحركهم سوى قوة العقيدة والدين، الذي ينفذ إلى أعماق القلوب وأعوار النفوس، فيحركها نحو الوحدة الإنسانية الكبرى، البرينة من نزعات التعصب لجنس أو لون أو عرق، ويحذرنا من الاستجابة لرغبات الأعداء في تفريقها وتمزيقها (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّكُمْ لَطَبِغُوا فَرِيضَةً مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا أَوْثُوا الْكُتَابَ يُرِيدُوا بِكُمْ كَافِرِينَ) (آل عمران:100) ويدعوها في وضوح تام (وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا) (آل عمران:103)، ومن ثم ينطلق المسلم مستحضرا ماضي أمته الواحدة، متطلعا إلى إحياء هذه الوحدة العريضة، ولسان حاله يقول:

تُرَجِّعُ أَعْمَاقِي نِدَاءَ فَحْمَدٍ وَصُوتَ بِلَالٍ بِالْمَآذِنِ عَلَيَا  
وَصِيخَاتِ سَعْدٍ فِي الْخُرُوبِ وَخَالِدٍ وَأَفْعَادُ أَشْلَافِي تَدْوِي وَرَائِيَا  
وَأَرْفَعُ فِي لَحِّ الْحَوَادِثِ هَامَتِي وَلَوْ كَانَ فِي رُفْعِ الرَّؤُوسِ فَمَاتِيَا  
تَلَاثَسْتُ خُدُودَ الْأَرْضِ عُنْدِي وَإِنَّمَا بِلَادِي وَقَوْمِي حَيْثُ يُدْعَىٰ لِإِلَهِيَا

ثم إن هذا الموسم يمثل اجتماع كل طاقات الأمة المسلمة من العامة والعلماء، ومن البسطاء والحكماء، ومن الضعفاء والأقوياء، ومن الأغنياء والفقراء، يجتمعون في موطن واحد؛ ليتعلموا أن أمة الحق وحدة واحدة، لا بد أن تتكامل في قواها، وأن يجتمع مال أغنيائها وقوة أفيائها مع عقول علمائها وحكمة حكمائها؛ لتحقيق الوحدة المنشودة (إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً) (الأنبياء:92).

وكم هو عظيم معنى الطواف الذي يجعل الأمة كلها تطوف نحو محور واحد، بكل مشاعرها، فيغمرها شعورٌ كريمٌ فيأص، بانتمائنا إلى هدفٍ واحدٍ وغايةٍ واحدةٍ، فتتدرب على التعاون وإنكار الذات، وتتلقى دروساً عملية في الحب والوحدة[]

قل لي بربك، ما شعورك حين ترى منات الألوف من الحجاج -على اختلاف أجناسهم وتباين لغاتهم- يسيرون في ارتباط وتآزر، ووحدة وتكاتف[] ووسط التلبية الهادرة،

والأصوات العالية، إذا أذن المؤذن سمعوا الأذان، ولبوا النداء، ووقف الجميع كأن على رؤوسهم الطير، لا تسمع حينئذ إلا ههيمًا، ولا ترى إلا أجسامًا منظومة، وأقدامًا مصفوفة، إذا ركع إمامهم ركعوا، وإذا سجد سجدوا، وإذا قرأ أنصتوا، وإذا دعا أقنوا[]  
إنها صورة من صور الجمال والحسن والجلال، ومشهد من مشاهد الكمال[] فلتأت الدنيا كلها لثطل على هذا المنظر البديع المتناسق، وليشهد الوجود كله بأن الإسلام هو دين الوحدة والنظام، ودين الحياة[]

إن الأمة اليوم وهي تُضطهد في كل ديارها، وتحاط بالمؤامرات والكيد من كل جوانبها ينبغي أن تستحضر ضرورة الوحدة، وأن تدرك أن قطب الرchy لهذه الوحدة هو دينها الذي به عزتها، وعقيدتها التي منها تستمد قوتها، وأن تستمع لهذا النداء الخالد من نبيها العظيم صلى الله عليه وسلم: «لَا تَبَاغُضُوا، وَلَا تَحَابُّوا، وَلَا تَدَابَّرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا» (متفق عليه)، وأن تلتفت إلى عنوان تجعها وشعار وحدتها، وهو الاستمسك بالكتاب والسنة «تَرَكْتُ فِيكُمْ أَقْرَبِينَ لَنْ تَضَلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهَجَا: كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ» (موطأ مالك).

فهل ينتهز قادة الأمة وعقلاؤها هذا المؤتمر الإسلامي السنوي العام للعمل على لم الشمل، وفض النزاعات وتوحيد الصف والوقوف بوجه العدو المتربص؟.

### حقن الدماء وحرمة دم المسلم:

في حجة الوداع قام القائد الأعظم، والرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم فألقى أسمى خطاب في الوجود، وأخذ حديث على صفحات الزمان، وأرسى بنود أعدل دستور عرفه التاريخ، يرسم للبشرية طريق خلاصها، وسبيل مجدها، ودروب سعادتها وعزتها، ويسكب في أذن الدنيا أصدق قانون، فيه صلاح المجتمع، وكرامة الإنسان، ويتلو قول الله تعالى (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) (المائدة:3).

ومن أهم ما شدد عليه صلى الله عليه وسلم : حرمة الدماء، فقد حَظَبَ النَّاسُ يَوْمَ النَّحْرِ قَوْلَ «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟». قَالُوا: يَوْمٌ حَرَامٌ قَالَ: «فَأَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟». قَالُوا: بَلَدٌ حَرَامٌ قَالَ: «فَأَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟». قَالُوا: شَهْرٌ حَرَامٌ قَالَ: «فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فَيَا بَلَدَكُمْ هَذَا فَيَا شَهْرَكُمْ هَذَا». فَأَعَادَهَا مِرَارًا، ثُمَّ زَنَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: «اللَّهِمَّ هَلْ بَلَّغْتُ؟ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ؟». قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه : فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهَا لَوْصِيَّتُهُ إِلَى أَهْلِهِ: «فَلْيَبْلُغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، لَأَنْتَجِعُوا بَعْدِي كَمَا نَأْتِي بِصُرْبٍ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ» (البخاري)

ورفض النبي صلى الله عليه وسلم كل أعراف الجاهلية في الأخذ بالثأر أو إراقة الدماء تحت أي مبرر، وبدأ بدماء أهل بيته، فقال في خطبة عرفه: «إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فَيَا شَهْرَكُمْ هَذَا فَيَا بَلَدَكُمْ هَذَا، أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمِي قَدْ مَضَى، وَدِمَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ، وَإِنَّ أَوَّلَ دَمٍ أَضَعُ مِنْ دِمَائِنَا: دَمُ ابْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ، كَانَ فَسْتَرَضًا فِي بَنِي سَعْدِ فَقَتَلْتُهُ هَذَيْلٌ» (مسلم).

وها هو النبي صلى الله عليه وسلم يعلن أن الشيطان يقود حربا للإيقاع بين أبناء الأمة، فيقول: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ آيَسَ أَنْ يَغْتَدِيَةَ الْفِصْلُونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَكُلٌّ فِي التَّخْرِيشِ بَيْنَهُمْ» (مسلم). أليس ما يجري في هذه الأشهر الحرم في بلادنا العربية والإسلامية من حروب وقتل داخلية، يُذكيها أولياء الشيطان من الشرق والغرب ويمدون أطرافها بالسلح والعتاد، هو من تحريش الشيطان الذي حذر منه النبي صلى الله عليه وسلم ؟

فيا عقلاء الأمة، ويا قادة الأمة، ويا علماء الأمة، هلموا إلى عمل جاد حازم، يوقف نزيف الدم المسلم في اليمن والعراق والصومال وباكستان وأفغانستان والسودان وكل مناطق التوتر على امتداد رقعة أمتنا الإسلامية؛ حقنا للدماء المسلمة التي تراق في غير ميدانها[] وتنفيذا لوصية النبي صلى الله عليه وسلم ، الذي قال: «لَرَوَّالِ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ» (الترمذي).

أليس عجيبا أن يمد العرب والمسلمون أيديهم للسلام والتفاهم مع أعداء الأمة الذين احتلوا الديار وقتلوا الأبرياء في فلسطين وغيرها، وفي ذات الوقت يمتنعون من التفاهم مع بني جلدتهم وأوطانهم، ولا يعرفون سبيل حل مشاكل أوطانهم إلا بقوة الحرب والسلاح الذي اشتترته جيوش الأمة من أجل حماية الأوطان لا من أجل حل الأزمات الداخلية؟

أليس الأشد عجبا أن يسمح بمرور السلاح بكل أشكاله إلى الأطراف المتنازعة في قلب الأمة، في الوقت الذي يتكاتف فيه العرب والمسلمون مع الصهاينة المجرمين لمنع السلاح عن المقاومين المجاهدين؟ ألا يثير كل ذلك النخوة في قلوب قادة الأمة وأصحاب الكلمة فيها، فيتحركون لإصلاح هذا الخلل، وتقويم هذا العوج؟.

### القدس والأقصى في قلب كل مسلم:

إن البقاع المقدسة في مكة والمدينة لتذكرنا البلد المبارك الذي بارك الله حوله، القدس الشريف، الذي يشكو إلى ربه ظلم اليهود الظالمين، وعجز المسلمين المتخاذلين، إذ يعيش أهله تحت سياط القهر والخوف والتهجير ومصادرة الأملاك وهدم البيوت، وإن الطواف حول البيت المعظم ليذكرنا شقيقه المأسور المسجد الأقصى المبارك، وإن للقدس والأقصى محلا ساميا في قلب كل مسلم، ولئن عجز النظام الرسمي العربي والإسلامي عن الوقوف في وجه المحاولات الصهيونية الأثمة لتهويد القدس وهدم الأقصى؛ فلقد أثبت أبناء الأقصى المرابطون أنهم يقدونه بأرواحهم وأنفسهم، وإنهم لجديرون بأن تقف الأمة من ورائهم، وأن تشد من أزرهم، حتى يكتب الله لهم النصر ولأقصادنا ومدينتنا التحرير بإذن الله[]

وإني لأدعو كل مسلم في هذه الأيام المباركة وبخاصة حجاج بيت الله إلى التضرع إلى الله في إخلاص وإخباتٍ وخشوعٍ أن يفك أسرَ البلد المبارك، يلحق بأخويه مكة والمدينة، وأن يكتب لأهله ونزليه الأمن في ظل الإسلام الحنيف، وأن يحفظه وأن يثبت المجاهدين من أهله ويربط على قلوبهم حتى يتم لهم النصر الموعود إن شاء الله، وأن يحفظ المسجد الأقصى المبارك من كيد الصهاينة المجرمين، وأن يلحقه بأخويه المسجد الحرام والمسجد النبوي في الأمن والأمان والسلامة والإسلام[]  
وكل عام وأمتنا الإسلامية بألف خير، والله أكبر والله الحمد، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم[]

القاهرة فى : 2 من ذى الحجة 1430هـ الموافق 19 من نوفمبر 2009م